المدارس فيما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير لفضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

من المعلوم أن التعليم كان يجري في ثلاث مدارس مركزية بالمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية بالإضافة إلى أن أئمة المساجد كانوا يقومون بخدمة التعليم هم الآخرون، و عقيب الهجرة بني المسجد النبوي الذي أنشئ في فنائه مدرسة مركزية انتسبت إليها ما عدا من مدارس صغيرة وكبيرة بها، كما بعث قراء إلى مختلف القبائل يعلمون أبناءها القرآن والفقه في الدين، وعُيِّن معلمون وقرّاء في العهد النبوي في كل من مكة المكرمة، والطائف، ونجران، والبحرين، والعمان وغيرها من المدن يعلمون أهلها ويقرؤونهم القرآن.

المدرسة المركزية بالمسجد النبوي:

قد سبق أن نشاطات تعليمية قد بُدئ بها قبل الهجرة العامة بسنتين بالمدينة المنورة في كل من مسجد بني زريق، ومسجد قباء، ونقيع الخضمات، وما إليها من مساجد وأماكن أخرى يتعلم فيها الناس القرآن الكريم ويتفقهون في الدين، وقد اشتهر من كان يقوم بالتدريس فيها بالمعلم والمقرئ وقد تخرج فيها عدد غير قليل.

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة أنشأ مدرسة مركزية في فناء المسجد النبوي بقيت كتب التاريخ والسيرة تذكرها بالمجلس والحلقة إلى مدة طويلة، وكان من عادة النبي ﷺ أنه كان يصلي الفجر ويأتي إلى أسطوانة أبي لبابة حيث كان قد تحلق حولها أصحاب الصفة، والضعفاء والمساكين ومؤلفة القلوب والوفود، فيجلس إليهم ويعلمهم القرآن والحديث والفقه والدين، ويواسيهم ثم يحض الوجوه والأثرياء من الناس، ويقفون إذا لم يجدوا فسحة في الحلقة ينظر إليهم النبي ﷺ وينظرون إليه، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. فقالوا – الأثرياء – للنبي ﷺ أن يأمر الفقراء والمساكين أن يجلسوا متباعدين عنا. فإنا نلازمك كل حين فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1].

---

[1] وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: ٤٤٥.

أسطوانة أبي لبابة يقال لها أسطوانة التوبة أيضًا، وهي الأسطوانة التي كان ربط بها نفسه أبو لبابة ﷺ على تخلفه عن غزوة تبوك، حتى تاب الله تعالى عليه وغفر له ذنبه[1]، وكان ﷺ كثيرًا ما يصلي النوافل لديها، ولديها يقيم مجلس الوعظ والتعليم في الصباح.

وروي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: كنا نجلس إلى رسول الله ﷺ عقيب انصرافه عن صلاة الفجر، فمنا من يسأله عن القرآن الكريم، ومنا من يسأله عن الفرائض، وآخر يقص عليه ما رآه في منامه فيعبر[2]، وروي عن جابر بن سمرة ﷺ قال: كنا إذا أتينا مجلسه ﷺ فيجلس كل منا حيث يجد فرجة[3].

ولم يكن هناك في أول الأمر نظام فيجلس كل رجل حيث يجد فسحةً، وبعد زمن قليل أمر النبي ﷺ باتخاذ حلقة في نظام، يقول أبو سعيد الخدري ﷺ: إني كنت من ضعفاء المسلمين وفقرائهم، وكنا من فقرنا نجلس متجاورين مخافة أن تكشف عوراتنا، ثم يقرأ رجل منا ونحن نسمع جميعًا، وبينما كنا على ذلك إذ قدم علينا رسول الله ﷺ ذات مرة وجلس فيما بين أظهرنا وأشار علينا بأن نتحلق حوله فتحلقنا جميعًا حيث استقبلنا بوجهه[4]. وذات مرة كان رسول الله ﷺ جالسًا فيما بين أظهر أصحابه إذ قدم ثلاثة نفر، فتقدم رجلان منهم إليه ﷺ، وجلس رجل منهما وجد فسحةً، على حين لم يجد الثاني فرجةً في الحلقة فجلس من وراء الناس، رجع الثالث، فقال رسول الله ﷺ بعد أن فرغ من تعليم القرآن: إن رجلا منهم ذهب إلى الله تعالى فرحمه الله، واستحيى الثاني، فاستحيى الله منه، بينما أعرض الثالث فأعرض الله عنه[5]. وقيل لجابر بن سمرة ﷺ أكنت تجلس في مجلس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كنت لا أغيب عن مجلسه إلا قليلا، وكان من عادته أنه لا ينصرف عن مصلاه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام وأتى أصحابه، وكانوا يقصون عليه ما كان وقع لهم في الجاهلية فيضحكون ويضحك النبي ﷺ.

---

(1) قد أخطأ المباركفوري في ذلك، فإن أبا لبابة ربط نفسه بالأسطوانة على إفشائه سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني قريظة، وأخبرهم بأن عليه الصلاة والسلام يريد قتلهم. فندم على ذلك وأسرع إلى المسجد النبوي وربط بأسطوانة منها نفسه. ع . البستوي.

(2) جمع الفوائد: ١/ ٤٨.

(3) صحيح مسلم وسنن أبي داود.

(4) الفقيه والمتفقه: ٢/ ١٢٢.

(5) صحيح البخاري وصحيح مسلم.

وروي عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: كنت جارًا للنبي ﷺ فإذا نزل عليه الوحي، دعاني وأمرني بكتابته، وإذا كان في المجلس تحدث معنا في الدنيا وإذا تحدثنا عنها، وتحدث عن الآخرة عند ما نتحدث عنها، وتحدث عن الأكل والشرب إذا تحدثنا عنها[1].

روي عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يخالطنا ويشاركنا في همومنا وأحزاننا، وقال له أبو هريرة ﷺ: يا رسول الله! إنك تمازحنا وأنت رسول الله؟ فقال: إني لا أقول إلا الحق، وقال جرير بن عبد الله البجلي ﷺ: كلما رآني رسول الله ﷺ تبسم في وجهي، وقال أنس ﷺ: كان أحب العمل إلى أصحاب النبي ﷺ النظر إلى وجهه، ولكنهم كانوا لا يقومون عند ما يقوم عليهم لعلمهم أن ذلك يكرهه ﷺ.

وكان مجلس رسول الله ﷺ مثالا للوقار والسكينة، وكأن على رؤوس أصحابه الطير، فيقول أسامة بن شريك ﷺ: ذات مرة جئت إلى النبي ﷺ فرأيت أصحابه متحلقين حوله كأن على رؤوسهم الطير[2]، وذات يوم قام رجل من مجلسه، فجلس في مكانه آخر، ثم جاء الأول فقال رسول الله ﷺ للرجل الآخر: قم من مجسله فإن كل رجل أحق بمجلسه من غيره[3].

ولم تكن في بداية الأمر حلقة منتظمة يجلس فيها الطلاب، فكانوا يجلسون في حلق صغيرة مختلفة، ولما رأى النبي ﷺ هذا أمرهم أن يتحلقوا ويجلسوا في حلقة مجتمعين، فيقول جابر بن سمرة ﷺ: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو حلق، فقال: ما لي أراكم عزين[4]. ويقول أبو سعيد الخدري ﷺ: كنت جالسًا في ضعفاء المسلمين، وكان رجال منهم يجلس بعضهم إلى بعض مخافة أن تكشف عوراتهم، وكان مقرئ يقرئنا القرآن الكريم إذ وقف علينا رسول الله ﷺ، فسكت المقرئ عند ما رآه فسلم علينا وقال: بماذا كنتم مشتغلين؟ قلنا: يا رسول الله! إن مقرءًا يقرئنا القرآن ونحن نستمع إليه، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم»، ثم جلس بين أظهرنا حتى يستقبلنا بوجهه، ثم أشار بيده أن نجلس على ما أشار فجلس الحضور

---

(1) الفقيه والمتفقه: ٢/ ١١.

(2) المرجع السابق: ٢/ ١٢٣.

(3) التاريخ الكبير: ٤، القسم الثاني: ١٥٩.

(4) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الخلق.

متحلقين وقال: يا فقراء المهاجرين! أبشروا بالنور التام يوم القيامة، فإنكم تدخلون الجنة قبل الأثرياء بنصف يوم، وذلك خمس مأة عام من الدنيا[1].

مدرسة الغميم فيما بين مكة والمدينة:

كانت شخصية رسول الله ﷺ مدرسةً متنقلةً للعلوم الإسلامية، حتى بقيت سلسلة التعلم والتعليم مستمرة في طريقه من مكة إلى المدينة عند ما هاجر إليها، وعلم سورة مريم في «الغميم» المتخللة فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، فيقول ابن سعد في طبقاته: لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة فانتهى إلى «الغميم» أتاه بريدة بن الحصيب الأسلمي، فدعاه رسول الله ﷺ فأسلم هو ومن معه وكانوا زهاء ثمانين بيتًا، فصلى رسول الله ﷺ العشاء فصلوا خلفه، كان رسول الله ﷺ قد علّم بريدة بن الحصيب لَيلتَئِذٍ صدرًا من سورة مريم، وقدم بريدة بن الحصيب بعد أن مضت بدر وأحد على رسول الله ﷺ المدينة فتعلم بقيتها، وأقام مع رسول الله ﷺ، فكان من ساكني المدينة[2].

وقال ابن سعد في موضع آخر من طبقاته عن ذلك: إن رسول الله ﷺ عند ما مرّ على بريدة بن حصيب وهو في طريقه إلى المدينة المنورة مهاجرًا إليها أسلم بريدة فعلمه رسول الله ﷺ صدرًا من سورة مريم، ولما قدم بريدة إلى المدينة بعد غزوة أحد أخذ بقيتها[3]. وهذا هو الذي ذكره الحافظ العسقلاني أيضًا[4].

والغميم موضع قريب من المدينة المنورة فيما بين «رابغ» و«الجحفة» أو فيما بين «عسيفان» و«مر الظهران»[5]. وكان يسكن في «الغميم» أكثر من ثمانين أسرة من «بني أسلم» الذين كان يبلغ عدد رجالهم ونسوتهم مئات، أسلم منهم بريدة ومن معه وصلوا العشاء خلف رسول الله ﷺ، غير أن كتب السيرة لا تذكر إلا أن بريدة قرأ القرآن الكريم وحده.

وهو من أجلة أصحاب النبي ﷺ شهد معه ١٦ غزاة، وجاهد في سبيل الله في «خراسان» في عهد عثمان بن عفان ﷺ، ثم سكن مرو، وبها توفي عام ٦٣هـ، مناقبه وفضائله كثيرة. (يتبع)

---

(١) جامع بيان العلم: ١/ ٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤/ ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ٧/ ٣٦٥.

(٤) الإصابة: ١/ ١٥١.

(٥) وفاء الوفاء: ٤/ ١٢٧٨.

المدارس قديما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

طلاب المدرسة النبوية:

لقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى تلقي العلم والدين، وشجعهم على ذلك بكل نوع من أنواع الترغيب والتشجيع، وبشر بعظم الأجر وجزيل المثوَبة على طلب العلم، ولذلك نراه يستقبل بكل فرح كل من يقصد مدرسته ويبشره بالأجر البالغ من لدن عليم حكيم، فيقول صفوانَ بن عسال رضي الله عنه المراوي أني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم قال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظلله بأجنحتها فيركب بعضها بعضًا حتى تعلو إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب»[1].

وكان يحضر مجلس درسه صلى الله عليه وسلم عدد كثير من الطلاب الأجانب من خارج المدينة المنورة بجانب الطلاب من سكان المدينة، وكان الطلاب من خارجها يحضرونه بصورة طارئة موقتة، على حين لا يغيب طلاب المدينة عن المجلس في اليوم ولا في الليل، وكان عددهم يشهد تزايدًا وتناقصًا حينًا لآخر. فيقول أبو هريرة رضي الله عنه: إن أصحاب الصفة بلغ عددهم سبعين رجلا، يقضون بها كل أوقاتهم، بينما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: قد كنا نحن ستين رجلا نحضر مجلسه صلى الله عليه وسلم، هذا وكان قد يتزايد عددهم كثيرًا ولا سيما عند ما تقدم المدينة وفود من القبائل، فكان وفد بجيلة يضم مأة وخمسين رجلا، ويضم وفد النخع مأتي رجل، ويحتوي وفد مزينة على أربع مأة رجل، وهكذا كانت الوفود تختلف في عدد أعضائها، وكانوا كلهم يقصدون المدينة المنورة يتعلمون مبادئ الدين والعقيدة، وكان هؤلاء

[1] جامع بيان العلم: ١/ ٣٢.

الناس هم الآخرون يحضرون مجلسه صلى الله عليه وسلم، ولذلك نرى أن منهم من كان يرجع عند ما لا يجد قسمة فيه لازدحام الناس. هذا وكان من أبناء المدينة المنورة وحواليها رجال لا يسكنهم الحضور شخصيًا لأجل أشغالهم الاقتصادية فتناوبوا الحضور فيما بينهم، ويخبر من يحضر المجلس غيره بما كان قد دار في المجلس من حديث، فيقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[1].

وعن أبي انس مالك بن أبي عامر: كنت عند طلحة بن عبيد الله فدخل رجل فقال: والله أبا محمد ما ندرى هذا اليماني (أبو هريرة) أعلم برسول الله منكم، قال: والله لا نشك أنه سمع من رسول الله ما لم نسمع وعلم منه ما لم نعلم، إنا كنا أقواما أغنياء، لنا بيوتات وأهلون، وكنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار ثم نرجع، وكان مسكينًا لا مال له ولا أهل، إنما كانت يده مع يد رسول الله، يدور معه حيث ما دار، ولم نجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل[2].

ويقول براء بن عازب رضي الله عنه: لم نكن نحن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نسمع حديثه، فكان رجال منا يشتغلون بالزراعة والأشغال الأخرى، غير أن الناس لم يكونوا يكذبون آنذاك، وكان من يحضر مجلسه صلى الله عليه وسلم يخبر بما حدث فيه من وراءه[3]. على حين يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كل ما نحدثه لم نسمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرةً، ولكننا لم نكن نكذب أحدًا وقت ذاك[4]. وكان الطلاب يأخذون مجلسهم في سكينة وأدب، وكانوا لا

---

(1) صحيح البخاري، باب التناوب في العلم.

(2) التاريخ الكبير: ٢، القسم الثاني: ١٣٢.

(3) المستدرك للحاكم: ١/ ١٢٧. ومعرفة علوم الحديث: ١٤ (معربًا).

(4) جمع الفوائد: ١/ ٥١ (معربًا).

يغيبون عن الدرس إلا بعد أن يأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه: كل من كان يحضر مجلسه صلى الله عليه وسلم لا يقدم ركبتيه إلى ركبتيه، ولا يخرج عن مجلسه إلا أن يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعن أنس بن مالك يقول: دخل رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي وله نفس، فقال: الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته قال: «من صاحب الكلمات؟» مرتين، فقام إليه رجل، فقال: أنا يا رسول الله قال: «لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا أيهم يسبق بها، فيحيي بها الله تبارك وتعالى»[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار في المجلس، فيقول عبد الله بن عمر: كنا نعد استغفاره في المجلس فوجدناه يستغفر أكثر من مأة مرة ويردد «رب اغفرلي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم».

وعن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»[2].

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك» فقال رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى، فقال: «كفارة لما يكون في المجلس»[3]. (يتبع)

---

[1] مصنف عبد الرزاق، باب المشي إلى الصلاة.

[2] سنن الترمذي: ٣٥٠٢. عمل اليوم والليلة: ٤٠١.

[3] سنن أبي داود، باب في كفارة المجلس: ٤٨٥٩.

المدارس قديما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

أصحاب الصفة:

كان يحضر مجلس الرسول ﷺ الناس على قبائلهم وألواتهم المختلفة منهم الأنصار والمهاجرون، ورجال من داخل المدينة المنورة وخارجها، وأشراف الناس وأعيانهم، ورؤساء القبائل ووجهاؤها، والملوك والأقيال، وأهل العلم والجهل، والأعراب من البدو، والعرب وغيرهم، والشيوخ والشبان والرجال يجمعهم كلهم مجلس النبي ﷺ دونما تفريق فيما بينهم على أي أساس. وكان رسول الله ﷺ يعلمهم جيمعًا يراعي تلك الظروف وطبائع الحضور وأذهانهم ولغاتهم ولهجاتهم، وكان أصحاب الصفة يمتازون من بين طلاب المدرسة النبوية هذه، فكانوا لا يغيبون عنها ليلاً ونهارًا، ولا يشغلهم شغل ما عدا التعلم والتعليم، والذكر والتسبيح والتلاوة، ومراجعة الدروس والمناولة.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه وهو من أبرز أصحاب الصفة: إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب الصفة لا يمتلكون رداء يرتدون، فكانوا يلبسون الإزار، أو كان عليهم كساء واحد يضعون على رؤوسهم إلى أقدامهم آخذين بأيديهم مخافة أن تكشف عوراتهم، وكان رسول الله ﷺ يقوم بتعليمهم أمور دينهم شخصيًا، كما كانوا يشتغلون بالتعلم والتعليم فيما بينهم، أو بالذكر والتلاوة.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه - كما أسلفت - من أصحاب الصفة قائمًا على شؤون إطعامهم وإسكانهم. يقول: إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ وسلم يشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون [١].

---

[١] صحيح البخاري، رقم: ١١٨.

وكان يتراوح عدد أصحاب الصفة في معظم الأحوال فيما بين ستين وسبعين رجلاً، كما كانوا ينقصون ويتزايدون حينًا لآخر، وذكر العلماء أن إجمالي عدد قد بلغ أربع مأة رجل، ونذكر فيما يلي أسماء بعضهم تيمنًا وتبركًا:

أسماء بن حارثة الأسلمي، أغرّ المزني، أوس بن أوس الثقفي، ثابت بن الضحاك الأشهلي الأنصاري، ثابت بن وديعة الأنصاري، ثقيف بن عمرو بن سميط، ثوبان مولى رسول الله ﷺ، براء بن مالك الأنصاري، بشير بن الخصاصية، بلال بن رَباح الحبشي، جارية بن شيبة بن قرط، جرهد بن خويلد، وقيل: رباح الأسلمي، حبيل بن سراقه الضمري، جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، حارثة بن النعمان الأنصاري، حجاج بن عمرو الأسلمي، حذيفة بن أسيد أبو سريح الغفاري، حذيفة بن اليمان، حازم بن حرملة الأسلمي، حبيب بن زيد بن عاصم الأنصاري، حرملة بن أياس، حكم بن عمير الشمالي، حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري، خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري، خباب بن الأرتّ، خبيب بن يساف بن عتبة أبو عبد الرحمن، خريم بن أوس الطائي، خريم بن فاتك الأسدي، خُنيس بن حذافة السهمي، ذو البجادين عبد الله المزني، ربيعة بن كعب الأسلمي، رفاعة بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري، زيد بن خطاب أبو عبد الرحمن، سالم بن عبيد الأشجعي، سالم بن عمير بن سالم مولى أبي حذيفة، سائب بن خلّاد، سعد بن مالك أبو سعيد الخدري، سعد بن أبي وقاص، سعيد بن عامر بن جذيمة بن الجمحي، سفينة بن عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ، سلمان الفارسي، شداد بن أوس، شقران مولى رسول الله ﷺ، شمعون أبو ريحانة الأزدي الأنصاري، صفوان بن بيضاء، صهيب بن سنان، طفخة بن قيس العفاري، طلحة بن عمرو النضري، طلحة بن عمرو الأنصاري، عامر بن عبد الله بن جرّاح أبو عبيدة بن الجرّاح، عَبّاد بن خالد الغفاري، عُبادة بن قرص، وقيل: قرط، عبد الله بن أُنيس، عبد الله بن أم مكتوم، عبد الله بن بدر الجُهني، عبد الله بن حبشي الخثعمي، عبد الله بن حارث بن جزء الزبيدي، عبد الله بن حوالة الأزدي، عبد الله بن عبد الأسد الأسدي أبو سلمة المخزومي، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن حرام أبو جابر الأنصاري السُّلمي، عبد الله بن

مسعود، عبد الله بن عمير بن عنبس الأنصاري الحارثي، عبد الرحمن بن قرط، عُبيد مولى رسول الله ﷺ، عتبة بن العبد السُلمي، عتبة بن غزوان، عتبة بن المنذر السُلمي، عثمان بن مظعون، عِرباض بن سارية، عقبة بن عامر الجهني، عكاشة بن محصن الأسدي، عمار بن ياسر، عمرو بن تغلب، عمرو بن عنبسة السلمي، عمرو بن عوف المزني، عُوَيمر أبو الدرداء، عُوَيمر بن ساعدة الأنصاري، عياض بن حماد المجاشعي، فُرات بن حيّان العجلي، فضالة بن عبيد الأنصاري، قرّة بن أياس أبو معاوية المزني، كعب بن عمرو أبو اليسر الأنصاري، كنانة بن حصن أبو مرثد الغنوي، مِسطح بن أثاثة بن عبّاد، مسعود بن الربيع القاري، مُصعب بن عمير، مُعاذ بن الحارث الأنصاري، معاوية بن الحكم السلمي، مقداد بن الأسود، نضلة بن عبيد أبو برزة الأسلمي، هلال مولى المغيرة بن شعبة، وابصة بن المعبد الجهني، واثلة بن الأسقع، يسار أبو مولى صفوان بن أمية، أبو ثعلبة الخشني، أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ، أبو فراس الأسلمي، أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدوسي رضي الله عنهم ورضوا عنه (١).

وهذا الفهرس يضم أكثر من مأة من أصحاب الصفة من بين أربع مأة منهم، والفهرس يشتمل على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري من مكثري الروايات، وفقهاء الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر اللذين تلقت الأمة بالقبول مذاهبهما في الفقه، ويحتوي على الفاتحين المعروفين مثل أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص اللذين فُتِحَتْ في إمارتهما الشام والخراسان وبلدان العجم، وعلى الزُهّاد العُبّاد مثل أبي الدرداء وأبي ذر الغفاري اللذين يضرب بهما المثل في الزهد والصلاح والورع والتقوى، ومن عداهم كل منهم يُعَدّ صورة متنقلة للعلم والمعرفة واليقين والإيمان الصادق، فرضي الله عنهم ورضوا عنه. (يتبع)

---

(١) قد سعدت بنقل أسماء هؤلاء الصحابة من مجموعة الصحيفة المخطوطة، رقم: ٦٤٤، بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، بالمدينة المنورة يوم السبت في ٢٣/ محرم الحرام عام ١٣٨٦هـ (المؤلف).

المدارس قديما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

الأطفال والشبان من خارج المدينة المنورة:

لم يكن يقتصر مجلس الرسول ﷺ على الشبان والأطفال بالمدينة المنورة وما يجاورها، وإنما كان يقصده بكل شوق ورغبة الطلبة {الوفود} من الأمكنة النائية وشتى القبائل يصحب الأطفال والشبان، ويأخذون جميعًا الدين والقرآن الكريم، وربما كان يفوق الناشئةُ الكبارَ.

فلما أراد وفد «تجيب» الرجوع إلى قبيلته أكرم النبي ﷺ كل أحد منهم بهدايا وتحائف على عادته وسألهم، هل بقي أحد منكم؟ فقالوا له: نعم، غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنًا، قال: أرسلوه إلينا، فأقبل الغلام إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني امرؤ من بني أبناء الرهط الذين أتوك آنفًا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي، قال: وما حاجتك؟ قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي، فقال: اللّهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم، ثم وافوا رسول الله ﷺ في الموسم بمنى سنة عشر فسألهم رسول الله ﷺ عن الغلام، فقالوا: ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله [1]، وكان ببركة دعائه ﷺ أنه ظل قانعًا مدة حياته، ولم يسأل أحدًا شيئًا قط.

وكان وفد بني تميم يضم فيمن يضمهم ثلاثين شابًا وفيهم قيس من أبناء سفيان بن عذيل الذي قال لوالده: ائذن لي أصحبك إلى رسول الله ﷺ، فأجاب قائلاً:

---

[1] الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/٢٢٥، وفد تجيب.

ولدي! لا نلبث عنده إلا قليلاً ثم نرجع، وكان من بينهم ولد يسمى بعمر بن أهثم الذي أكرِم بالهدية كغيره من أعضاء الوفد، وقالت امرأة من بني النجار: أنا أنظر إلى الوفد يومئذ يأخذون جوائزهم عند بلال اثنتي عشرة أوقية، وقالت: وقد رأيت غلامًا أعطاه يومئذ وهو أصغرهم خمس أواق تعني عمرو بن الأهثم[1].

وكذلك كان يضم وفد فزارة حرَّ بن حصن بن قيس، وكان أصغرهم سنًا[2].

وكان فيمن وفد على رسول الله ﷺ من بني البكّاء معاوية بن ثور بن عبادة بن البكّاء وهو يومئذ ابن مأة سنة، ومعه ابن له يقال: بشر، وقال معاوية للنبي ﷺ: إني أتبرك بمننك وقد كبرت وابني هذا برٌّ بي فامسح وجهه، فمسح رسول الله ﷺ وجهه[3].

وقدم عثمان بن أبي العاص على رسول الله ﷺ مع وفد ثقيف وكان أصغر الوفد سنًا، فكانوا يخلفونه على رحالهم يتعاهدها لهم، فإذا رجعوا من عند رسول الله ﷺ وناموا وكانت الهاجرة أتى عثمان رسول الله ﷺ، فأسلم قبلهم سرًا منهم وكتمهم ذلك، وجعل يسأل رسول الله ﷺ عن الدين ويستقرئه القرآن، فقرأ سورًا من في رسول الله ﷺ، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائمًا عمد إلى أبي بكر فسأله واستقرأه، وإلى أبي بن كعب فسأله واستقرأه، فأعجب به رسول الله ﷺ وأحبه، فلما أسلم الوفد وكتب لهم رسول الله ﷺ الكتاب الذي قاضاه عليه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا: يا رسول الله! أمّر علينا رجلاً منا، فأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم لما رأى رسول الله ﷺ من حرصه على الإسلام[4].

---

(1) الطبقات الكبرى: ١/ ٢٢٥، وفد تميم {ع، ر، البستوي}.

(2) الطبقات الكبرى: ١/ ٢٢٦، وفد فزارة.

(3) الطبقات الكبرى: ١/ ٢٣١، وفد بني البكاء.

(4) الطبقات الكبرى: ٦/ ٤٧ - ٤٨، تسمية من نزل الطائف من أصحاب رسول الله ﷺ.

ويجدر بالذكر ما يرويه أبو زيد عمرو بن سلمة الجرمي من قصة في صباه فيقول: كنا نحن عدة صبية صغارًا بحضرته ماء، فمر الناس عليه، وكنا نسألهم ما هذا الأمر، فيقولون: رجل زعم أنه نبي، وأن الله أرسله وأن الله أوحى إليه كذا وكذا، فجعلت لا أسمع شيئًا من ذلك إلا حفظته كأنما يغرى في صدري بغراء حتى جمعت فيه قرآنًا كثيرًا، قال: وكانت العرب تلوّم بإسلامها الفتح، يقولون: انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتحَ بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حوائنا ذلك وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقيم، قال، ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقًا، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنًا، قال: فنظر أهل حوائنا فما وجدوا أحدًا أكثر قرآنًا مني للذي كنت أحفظه من الركبان، قال: فقدموني بين أيديهم فكنت أصلي بهم وأنا ابن ست سنين، قال: وكان علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطّون عنا إست قارئكم فكسوني قميصًا من معقد البحرين، قال: فما فرحت بشيء أشد من فرحي بذلك القميص[1].

الكبار والطاعنون في السن:

كان عامة من يطلب العلم في المدرسة النبوية كبارًا طاعنين في السن، أخذوا العلم عنه ﷺ في شيخوختهم، كما صرح الإمام البخاري في صحيحه: وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم[2]، وقد يكون من بينهم أنهكتهم قواهم، فكانوا

---

[1] الطبقات الكبرى: ١/٢٥٣ - ٢٥٤، وفد جرم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٤١٠هـ.

[2] صحيح البخاري: ١/ ١٦، باب الاغتباط في العلم والحكمة، كتاب العلم.

يأخذون العلم في مجلس الرسول ﷺ وفق كبر سنهم، كما كان ﷺ يعلمهم ما يوافق طبائعهم وأعمارهم، وقد أسلفنا آنفًا أن معاوية بن ثور من بني البكّاء كان ابن مأة سنة وفد على رسول الله ﷺ بابن له بشر ورجع متمتعًا بالخير والبركة.

ويقول قبيصة بن مخارق: إني جئت إلى النبي ﷺ فسأل عما جاء بي فقلت: كبر سني ورقّ عظمي فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به فقال: يا قبيصة! إذا قلت ثلاث مرات صباحًا سبحان الله العظيم وبحمده، فما تمر من حجر أو شجر أو مدر إلا استغفر لك الله، وصانك الله من العمى والجذم والبرص والفالج، ثم قال: عليك أن تردد، اللهم إني أسئلك مما عندك، واقض علي من فضلك، وانشر علي من رحمتك وأنزل علي من بركتك[1].

وعن أبي ريحانة شمعون الأزدي قال: قلت لرسول الله ﷺ يشق علي القرآن فقال: عليك أن تكثر من الصلاة.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: أقرءني يا رسول الله! فقال: اقرء ثلاثًا من ذوات الراء، فقال: كبرت سني واشتد قلبي وغلظ لساني؟ قال: فاقرأ ثلاثًا من ذوات حم، فقال مثل مقالته، قال الرجل: يا رسول الله! أقرءني سورة جامعة، فأقرأه رسول الله إذا زلزلت حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليه أبدًا، ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل مرتين[2].

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞
۞۞۞۞۞۞۞

---

[1] جمع الفوائد: ١/ ٣٨.

[2] مشكاة المصابيح، ص: ١٩٠، كتاب فضائل القرآن.

المدارس فيما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: عبدالرشيد البستوي أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

الطلبة في المدرسة النبوية:

الأعاجم من الطلبة:

كان الأعاجم هم الآخرون يحضرون مجلس الرسول ﷺ وينتفعون بتعليمه وفق مستواهم وكفاءاتهم، ومن المعلوم أن كلا من الفرس والروم والحبشة والهنود يقطنون شتى بقاع العالم العربي في عهده ﷺ، وكان معظمهم من الفرس الذين كانوا قد توطنوا في عدد هائل في الشواطئ من العراق وعمان والبحرين واليمن، وكان أقيال هذه المناطق خاضعين لملوك فارس، كما كان يختلف العرب إلى فارس والفرس إلى المدن العربية كثرة كاثرة، الأمر الذي سبب انتشار اللغة الفارسية في العرب أكثر من غيرها من اللغات، والذين كانوا يتكلمون بالفارسية في المدن العربية وقراها يسمون بـ «أبناء فارس»، ولما بعث نبينا ﷺ وانتشر أمره اعتنق الإسلام الأعاجم كأمثال جيرانهم العرب، ولاسيما عند ما دخل في الإسلام «باذان» ملك اليمن أسرع إلى الإسلام كثير من أبناء فارس، وبعد أن أسلم «باذان» بعث وفدًا إلى النبي ﷺ فسأله الوفد ممن نحن يا رسول الله؟ فقال: «أنتم منا وإلينا أهل البيت» [١].

وكان من بين أبناء فارس هؤلاء «يحنس» الذي وفد على النبي ﷺ وأسلم، ودعا إخوانه إلى الإسلام بعد أن رجع إليهم، وكذلك أسلم فيروز الديلمي بالإضافة إلى بنات نعمان بن بزرج. كما أثر إسلام سلمان الفارسي في أبناء قومه من الفرس أن أسلم عدد غير قليل منهم اقتفاءً بأثره وانتهاجًا بمنهج رائدهم الديني سابقًا، وقد قال النبي ﷺ في سلمان الفارسي: «سلمان من أهل البيت».

---

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٦٩.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«يأتيكم رجال من أهل المشرق يتعلمون، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيرًا» [١]، وفي الحديث إشارة إلى فارس وأيتامها.

وكان من بين عبيد المدينة ومواليها رجال من الفرس، فقد جاء أن مولىً لجبير بن عتيك يُدعَى بـ «عقبة» أوبـ «أبي عقبة» قتل رجلا من المشركين في غزوة أحد فقال رافعًا صوته: أنا الغلام الفارسي، فقال رسول الله ﷺ: «لماذا ما قلت: أنا الأنصاري؟ فإن مولى القوم منهم»، وكان رشيد الفارسي عبدًا مملوكًا لبني معاوية من الأنصار، ولذلك نجد بعض أصحاب السير عزا إليه ما ذكرته آنفًا [٢].

ولأجل هذا كله كانت هناك علاقة خاصة تربطه ﷺ مع الفرس، فقد أخرج العلامة ابن أثير في ترجمة طلحة الأنصاري قوله ﷺ له: «إن أسعد العجم بالإسلام أهل فارس» [٣].

هذا وقد تنبأ رسول الله ﷺ بما يمتاز به أهل فارس من مكانة مرموقة في حقل الدين والعلم قائلاً: « لَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ نَاسٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ » [٤]، وهناك روايات تذكر الإيمان بدل العلم، وكلمة الرجال مكان الرجل.

وبما أن العجم لم يكونوا يفهمون العربية حقها بالإضافة إلى عجزهم عن الإتيان بكلمات عربية عن مخارجها فكان يشق عليهم قراءة القرآن في بداية الأمر، ولأجل ذلك كان رسول الله ﷺ قد أذن لهم بأن يقرؤا القرآن بما تيسر لهم من لهجة، بل وإنه شجّعهم على ذلك، فيقول جابر رضي الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن الكريم، وفينا أعرابي وعجمي، فقال: اقرؤوا فكل حسن، وسيجيئ أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلون ولا يتأجلون» [٥].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب العلم، رقم: ٢٦٥١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٠٧.

(٣) أسد الغابة: ٣/ ٥٦.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٩٤٤٠.

(٥) جمع الفوائد: ٢/ ٢٨٧.

هذا وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه في باب من تكلم بالفارسية والرطانة في كتاب الجهاد والسير أن رسول الله ﷺ تكلم بكلمة الخندق، وأصلها كنده من الفارسية، كما تكلم ﷺ بكلمات فارسية أخرى أيضًا، وقد وردت رواية منكرة تفيد بأن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه بأن يترجم لنا سورة الفاتحة إلى الفارسية، فترجمها بالفارسية، وبدأ بترجمة بسم الله الرحمن الرحيم «بنام يزدان بخشاينده»، وعرض الترجمة على رسول الله ﷺ، وكان أهل فارس يقرؤنها في الصلاة إلى أن لان لسانهم[1].

كما كان الحبشة يسكنون المناطق العربية في عدد كبير، وكانت لهم علاقات طيبة مع المسلمين، وقد هاجر أصحاب النبي ﷺ إلى بلادهم «الحبشة» مرتين، فأسلم ملك الحبشة، وقام بخدمات مشكورة للإسلام وأهله، وكان للمسلمين معرفة باللغة الحبشية هي الأخرى، وكان يحظى بلال الحبشي رضي الله عنه في أعين أهل الحبشة بما كان يسعد به سلمان الفارسي رضي الله عنه من بين أهل فارس من مكانة واحترام، ويتلو الفرس والحبشة الروم الذين كانت بينهم وبين أهل مكة علاقات تجارية وطيدة منذ قديم الزمان، وأسلم من أبناء هؤلاء الجاليات كل من ساعده التوفيق وحالفه الفضل من الله، فكان لهم حظ وافر من صحبة النبي ﷺ ورؤيته والرواية عنه، رضي الله عنهم وأرضاهم.

الصحابيات والنساء:

كانت هناك عناية خاصة بتعليم النساء والرجال، غير أنهن كن يأخذن العلم في صور مختلفة، وكان النبي ﷺ قد خصصن لهن يومًا كل أسبوع، وكان يحضر في ذلك اليوم يعلمهن ويعظهن ويوصيهن بتقوى الله، كما كانت أزواجه ﷺ يسألن حينًا لآخر عن الدين ولا سيما أم سلمة وعائشة رضي الله عنهما.

هذا وكان الصحابة يذكرن لنسائهم وبناهم ما كانوا قد سمعوا عن رسول الله ﷺ من أمور الدين، وكانت الطاعنات والقريبات من النساء يسألن رسول الله ﷺ مباشرةً عن أمور دينية يتعرضن لها، على كل فكانت النساء في عهد النبوة يأخذن حظهن من التعليم عن شتى الطرق، وكن يبعثن لهذا الغرض وفدهن عليه ﷺ.

---

(1) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٥٥.

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان له حجابًا من النار، فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: واثنتين» (١).

كانت أسماء بنت يزيد الأشهلية ذكية فاضلة للغاية أرسلتها النساء ممثلةً لهن إلى النبي ﷺ، فقعدت عليه ﷺ وقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقصى شهودكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال! فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، إن الرجل إذا خرج حاجًا أو معتمرًا أو مجاهدًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مقالة المرأة قط أحسن من مسائلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله! ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ، فقال: افهمي أيتها المرأة! واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، فانصرفت المرأة وهي تهلل(٢)، فرجعت إلى النساء وأخبرتهن بما قاله ﷺ.

كان من عادته ﷺ أنه يعلم النساء ويعظهن حينًا لآخر، «ذات مرة دخل النبي ﷺ ومعه بلال على النساء يعظهن ويأمرهن بالصدقة، فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج ومعه بلال، فظن أنه لم يسمع النساء، فوعظهن وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم، وبلال يأخذ في طرف ثوبه» (٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم: ١٠١.

(٢) أسد الغابة: ٧/ ١٨، والاستيعاب: ٢/ ٧٢٧، أخرج الحديث باختلاف يسير في كلماته الإمام أحمد في مسنده: ٦/ ٤٥٨، وابن عساكر: ٧/ ٤٤٠ {ع، ر، البستوي}.

(٣) صحيح البخاري، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، رقم: ٨١.

وكانت عائشة رضي الله عنها كلما رابها أمر سأل عنه رسول الله ﷺ حتى تطمئن وكذلك الصحابيات جميعهن.

وكانت من بين هؤلاء الصحابيات شأن الصحابة عالمات فاضلات مفتيات وكاتبات، فكانت عائشة رضي الله عنها فقيهة الأمة، وأم سلمة فقيهةً ومفتيةً، وكانت زينب بنت أم سلمة من أبي سلمة ربيبة النبي ﷺ يقول عنها التابعي الأجل أبو رافع: «إني إن رأيت امرأةً فقيهةً في المدينة المنورة كلها فهي زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها»، ويقال عنها: كانت من أفقه نساء أهل زمانها [1].

وكانت أم الدرداء الكبرى رضي الله عنها امرأة عاقلة، فاضلة، عابدة، زاهدة، فقيهة واسعة العلم [2].

وكانت سعدة بنت قمامة رضي الله عنها تؤم بالنساء في الصلاة وتقوم وسطهن.

يقال عن سمراء بنت نهيك الأسدية رضي الله عنها: «عمرت وكانت تـمرّ في الأسواق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس بسوط كان معها» [3].

كانت هناك كثير من الصحابيات يعرفن القراءة والكتابة، وكانت عائشة وأم سلمة لا تعرفان إلا القراءة دون الكتابة، على حين كانت حفصة تعرف القراءة والكتابة كليهما، وقال النبي ﷺ لشفاء بنت عبد الله العدوية: علّمي حفصة الكتابة كما علّمتها الرقية من النملة، وكانت كل من شفاء بنت عبد الله، وأم كلثوم بنت عقبة، وكريمة بنت المقداد يعرفن الكتابة والقراءة [4].

مع أن هؤلاء الصحابيات لم تكن لهن حلقات درس، غير أنه قد رويت عنهن أحاديث كثيرة، وكان الصحابة والتابعون يسألونهن عن الأحاديث النبوية، ويستفتونهن في مسائل فقهية مباشرة حينًا، وبواسطة قريب لهم حينًا آخر عملاً بآيات الحجاب.

---

(١) انظر: الاستيعاب: ٢/ ٧٥٦، تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٢٢.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١.

(٣) الاستيعاب: ٢/ ٧٦٠-٧٦١.

(٤) انظر: فتوح البلدان، ص: ٤٥٨.

المدارس فيما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
تعريب: الشيخ عبد الرشيد البستوي*

إسكان الوفود وإطعامهم

تسهيلات الإقامة والإطعام للطلاب من خارج المدينة:

كان يفد على النبي ﷺ المسلمون الجدد من أماكن بعيدة وقبائل مختلفة يأخذون عنه القرآن والسنة، والتفقه في الدين وتعاليم الإسلام، وكانوا يقيمون بالمدينة المنورة لأيام قلائل، ثم يرجعون إلى قبائلهم ويعلمون إخوانهم الشرائع، وكان هؤلاء المسلمون يتجشمون مشقات بالغة في رحلاتهم هذه يتعلمون خلالها العلم والدين، فوفد عليه ﷺ وفد عبد القيس من البحرين وقالوا له: إنا قدمنا عليك من مكان بعيد، وإن بيننا وبينك مضر، فلن نقدم إلا في الأشهر الحرم، فعلمنا أمور ديننا كي نخبر بها من ورائنا.

وكان قد أخبر النبي ﷺ المسلمين بقدوم عبد القيس قبل أن يقدموا عليه، وإنهم لم يجبروا وإنما أسلموا عن رغبة منهم، وإنهم لم يأت بهم الطمع في المال، ودعا لهم قائلا: اللهم اغفر لعبد القيس فإنهم خير أهل المشرق.

المعلمون من أصحاب النبي ﷺ:

وكانت المدينة المنورة تزداد رونقًا وبهاءً بمقدم الوفود، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يرحبون بهم ويستقبلونهم، ويستضيفونهم ويكرمونهم بالغًا، كما كان النبي ﷺ يعتني كثيرًا بتعليمهم أمور دينهم، وكان يعلمهم كل من أبي بكر الصديق وأبي بن كعب وسعد بن عبادة وعبادة بن الصامت ومن إليهم من أصحاب، بجانب تعليمه ﷺ القرآن والسنة والتفقه وشرائع الإسلام، وهناك روايات تصرح في رئيس عبد القيس: عبد الله الأشبح: يسأل رسول الله ﷺ الفقه والقرآن[1].

* أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

[1] طبقات ابن سعد: ١/ ٣١٥.

الخيمة بمثابة الرواق:

هذا، وقد أمر النبي ﷺ بنصب الخيام في المسجد النبوي لوفد ثقيف ليتعلموا القرآن ويروا المسلمين يصلون، وأصغرهم سنًا عثمان بن أبي العاص ﵁، غير أنه قد تمكن من أخذ القرآن أكثر من أعضاء الوفد الآخرين الذين تعلموا القرآن أيضًا، فجاء فيهم: وعلموا القرآن[1]، على حين نزل وفد غامد بالبقيع، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآنًا.

وروي عن أبي ثعلبة الخيثمي ﵁ أنه قال: زرت النبي ﷺ وقلت له: أرسلني إلى من يعلمني خير تعليم، فأرسلني إلى أبي عبيدة بن الجراح وقال: دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك.

وأكد النبي ﷺ على تعليم وفد خولان بوجه خاص، وكان رجّال بن عنفرة من بني حنيفة يتعلم القرآن عن أبي بن كعب رضي الله عنهما، ونزل فروة بن مسيك على سعد بن عبادة رضي الله عنهما وأخذ عنه القرآن وشرائع الدين، وكان من أعضاء الوفد الذي بعث به مسيلمة الكذاب وبرة بن المثهر الحنفي، فرجع الوفد إلى مسيلمة، غير أن وبرة لم يصحبهم، وأقام بالمدينة المنورة يتعلم القرآن والدين إلى أن توفي رسول الله ﷺ، ثم ذهب إلى «عقر» إلى أمه.

هذا وأسلم وفد بهراء وأقاموا بالمدينة المنورة عدة أيام يأخذون القرآن، وأخذ وفد رهاويين القرآن والفرائض، ويقول حرملة بن عبد الله من وفد بلعنبر: لما حان الارتحال من المدينة المنورة قلت في نفسي: إني لا أرجع مع الوفد، وإنما أمكث مزيدًا حتى أتعلم مزيدًا، فمكث بالمدينة، على حين رجع الوفد كله ولم يمكث وفد تجيب بالمدينة إلا قليلا حتى رجعوا إلى قبيلتهم، وقالوا: نرجع لكي نقص على من وراءنا أخبار لقائنا رسول الله ﷺ وكلامنا معه، وقال وفد بني عبس: إن قراءنا قالوا لنا بعد مرجعهم: لا إسلام لمن لا هجرة له، وإننا أهل ضروع نأكل منها، فإن كان الأمر كما قيل نبيعها ثم نهاجر إلى المدينة، وقال لهم النبي ﷺ نظرًا إلى عواطفهم النبيلة: اسكنوا في أوطانكم وإن أعمالكم لا تنقص.

الرواق الطلابي الفسيح:

وكان الوفود يسكنون في دار رملة بنت الحارث بن ثعلبة الأنصارية عامةً، وكانت تعرف الدار بـــ «دارالضيافة» وكانت فسيحة للغاية، وبها أسر زهاء ست مأة رجل من بني

[1] طبقات ابن سعد: ١/ ٣١٥، وزاد المعاد: ١/ ٣١٥.

قريظة، وكانت الدار رواق الطلاب من خارج المدينة، وبها أقيمت وفود: تجيب، وبني محارب، وخولان، وبني كلاب، وبجيلة، وبني حنيفة، وغسان، وعذرة، ورهاويين، ومذحج، ونخع.

كما كان الوفود تقيم بدور وأمكنة أخرى عند ما تمس الحاجة إليه، فنزل وفد غامد بالبقيع، وأمر النبي ﷺ وفد دوس وفيهم أبو هريرة بأن يقيموا بحرة الدجاج، وأسكن وفد بلي في دار من أبي جديلة، ولما قدم وفد كندة يصحبهم وفد حضرموت يضم رجالا من الأسرة الملكية اليمنية، وفيهم وائل بن حجر الكندي فاعتنى رسول الله ﷺ بإسكانهم عنايةً خاصةً، وأمر معاوية أن يذهب بهم إلى حرة حيث يقيمون بها.

الصحابة يضيفون الطلاب الوافدين:

وجعل مغيرة بن شعبة رضي الله عنه أحلاف ثقيف ضيوفًا له، وأقام النبي ﷺ الخيام النبوي لوفد بني مالك، وكان وفد زبيد يضم الفارس المعروف عمرو بن معديكرب، ولما قدم المدينة سأل الناس عن رئيس بني عمرو، وقالوا له: سعد بن عبادة، فصرف عنان فرسه إلى داره، ولما وصل إلى داره رحب به سعد ترحيبًا حارًا، وأكرمه بالغًا، وقدم إليه كل ما يرغب فيه من طعام وشراب وفق عادته، ثم ذهب به إلى النبي ﷺ ونزل وفد بهراء بعد أن قدموا المدينة على المقداد بن الأسود، تقول ضباعة بنت عبد المطلب: كنا في دارنا في بني جديلة، فجاءنا المقداد بن الأسود وحمل بيده جلق الحيس الذي كنا صنعناه لأنفسنا، وقدمه إلى وفد بهراء فأكل منه الوفد حتى شبعوا، وبعث المقداد بما بقي إلينا، ولما حضر وفد صداء ذهب به سعد بن عبادة يأذن من النبي ﷺ إلى داره واستضافهم بكل ما كان لديه، ثم جاء بهم إلى المسجد النبوي.

استعن بها في الاستضافة:

هذا ونزل فروة بن مسيك على سعد بن عبادة يتعلم القرآن والفرائض وشرائع الإسلام، ويقول رويفع بن ثابت البلوي وكان قد عاش المدينة المنورة من ذي قبل: لما قدم وفد بني بلي من قبيلتي فأنزلتهم في داري من بني جديلة، وقدمت إليهم ما أكلوا ثم جئت بهم إلى النبي ﷺ، فأخذوا عنه العلم والدين، ثم أتيت بهم إلى منزلي، فتلاني رسول الله ﷺ بحزمة التمر وقال: استعن بها في الاستضافة، فكانوا يأكلون من هذه التمور أيضًا بجانب التمور الأخرى.

(يتبع)

المدارس فيما بعد الهجرة

كبته بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
تعريب: الشيخ عبد الرشيد البستوي*

الاهتمام بتعليم الخط والكتابة:

لم يكن عناية العرب بالقراءة والكتابة إلا قليلا، وكانوا في غنى عنهما بقوة ذاكرتهم التي وهبهم إياه جل وعلا، حتى لم يكن في قريش كلها وهي أشرف قبائل العرب إلا سبعة عشر رجلا يعرفون الكتابة، وكانوا سدنة الكعبة، وكانوا يرتحلون إلى الشام واليمن تجارًا، كما كانت لهم علاقات طيبة مع أكاسرة فارس وقياصرة الروم، وكانت لهم رئاسة في الشؤون الدينية فيما بين القبائل العربية جمعاء، وبالرغم من ذلك لا يعرفون القراءة والكتابة إلا نادرًا، وذلك لأن جل ثقتهم كانت بذكائهم الطبعي وذاكرتهم القوية، وكذلك لم تكن للأنصار بالمدينة عناية كثيرة بالقراءة والكتابة، ولم يكن في الأوس والخزرج إلا رجال قليلون يعرفونهما منهم: سعد بن عبادة، ومنذر بن عمره، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن بن عدي حليف الأنصار، وبشير بن سعد، وسعد بن ربيع، وأوس بن خولى رضي الله عنهم[1] وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه يعرف الكتابة ويعلمها غيره.

وأولى رسول الله ﷺ عنايته بالتعليم بجانب اهتمامه بالكتابة، وأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم العبرانية حتى يقرأ له ﷺ كتاب اليهود، ويكتب إليهم عنه، هذا وأسر سبعون رجلا من قريش في غزوة بدر، فأطلق سراح رجال منهم بفدية من المال، وأما الذين لم يكن لهم مال يفدونه، وكانوا يعرفون الكتابة أمروا بأن يعلموا عشرة ولدان من المسلمين الكتابة، قال ابن سعد: كان فداء أسارى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك فمن لم يكن عنده شيء أمر أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة، وقال في موضع آخر من طبقاته: فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين الكتابة[2].

---

* أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

(1) فتوح البلدان، ص: ٤٥٩.

(2) طبقات ابن سعد: ٢/ ٢٢، سنن أبي داود، باب كسب العلم، كتاب الإجارة.

وهناك رواية تصرح بأن ستين أسيرًا من قريش علموا ستة مائة غلام من الأنصار الكتابة.

وكان رجال من الصحابة يعلمون الكتابة، فكان عبادة بن الصامت ﷺ يعلم أصحاب الصفة الكتابة كما كان يعلمهم القرآن، حيث قال: علّمت ناسًا من أهل الصفة الكتاب، والقرآن فأهدى إلي رجل منهم قوسًا فقلت: ليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله عز وجل، لآتينّ رسول الله ﷺ فلأسألنّه فأتيتُه، فقلت: يا رسول الله، رجلٌ أهدى إليّ قوسًا ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن، وليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله، قال: إن كنتَ تحبُّ أن تُطَوَّق طوقًا من نار فاقْبَلْها [١].

وكانت شفا بنت عبد الله العدوية تعرف الكتابة في الجاهلية، فقال لها النبي ﷺ: علمي حفصة رقية النملة كما علمتنيها الكتابة.

وقد انتشرت الكتابة خلال مدة يسيرة بفضل عنايته ﷺ البالغة والرغبة الصادقة من أصحابه، وأصبح كل بيت بالمدينة عامرًا بالقراء والكتاب، وأصبح الذين لا يعرفون القلم يكتبون الوحي والحديث النبوي، والكتب إلى ملوك العالم.

وكان الرسول ﷺ يعلم من يكتب ما يلزم مراعاته في الكتابة بالرغم من أنه لم يكن يعرف الكتابة، فقال مرة: إذا كتب أحدكم كتابًا فليتربه فإنه أنجح للحاجة.

ويجلب التتريب على ما يكتب فائدته مهمة للغاية، فلا يمتد الحبر، ويسهل على المرء القراءة والفهم، فعن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال:جئت النبي ﷺ ذات مرة، وكان عنده كاتب يكتب، فقال له النبي ﷺ: ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي [٢].

التشجيع على تعلم الأنساب:

وكان قد أذن النبي ﷺ لأصحابه في تعلم علوم أخرى ما عدا علم الدين أيضًا ولاسيما الأنساب، فكانت له أهمية بالغة في المجتمع العربي، وكان رسول الله ﷺ قد رغب أصحابه في أخذه.

هذا وللقرابة والأنساب أهمية أكيدة في المجتمع الإسلامي هو الآخر، والناس في أمس الحاجة إليهما في الفرائض والنكاح وصلة الأرحام. وقال رسول الله ﷺ: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محـبة في أهله، مثراة في ماله، منسأة في

---

[١] سنن أبي داود، باب كسب العلم رقم: ٣٤١٦.

[٢] سنن الترمذي، باب ما جاء في تتريب الكتابة رقم: ٢٧١٤.

أثره[1].

وكان أبو بكر الصديق ﷺ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من أعلم الناس بالأنساب.

وكان عمر، وعثمان، وعلي، به علماء، ﷺ. وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت ﷺ أن يأخذ ما يحتاج إليه من علم نسب قريش عن أبي بكر الصديق ﷺ[2].

والجدير بالذكر أنه لم يكن آنذاك عناية بتعليم الأنساب، وإنما كان أصحابه يأخذ بعضهم عن بعضهم، فيروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل علامة، قال النبي ﷺ: وما العلامة؟ قالوا: رجل عالم بأيام الناس وعالم بالعربية وعالم بالأشعار وعالم بأنساب العرب، فقال رسول الله ﷺ: هذا علم لا يضر أهله[3].

سكن أصحاب الصفة ووجبات الطعام:

كان يتعلم بالمدرسة النبوية الطلاب من داخل المدينة وخارجها، وكانوا يتمتعون بتسهيلات الإقامة والغذاء على نظام مختلف، فكان طلاب المدينة المنورة يسكنون في الصفة والمسجد النبوي، وكان النبي ﷺ وأصحابه يوفرون لهم وجبات الطعام، وكان عددهم يتراوح فيما بين ستين وسبعين طالب في أغلب الأحايين.

وكان أهل الصفة يتعرضون لفقر شديد ومسكنة بائسة، فعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: اِلْحَق، ومضى فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبنًا في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول

---

(1) مسند أحمد، رقم: ٨٨٦٨.

(2) جمهرة أنساب العرب، ص: ٨.

(3) الأنساب للسمعاني: ٨/١.

الله، قال: اِلْحَق إلى أهل الصفة فادْعُهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوُون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتَقَوَّى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أعطيهم، وما عسى أن يَبْلُغَنِي من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأَعْطِهم، قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يرْوَى، ثم يَرُدّ عليّ القدحَ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يَرُدّ عليّ القدح فيشرب حتى يروى، ثم يَرُدّ عليّ القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكًا، قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة[1].

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة، وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب: هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم، فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة، قال فضالة: وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ[2].

وهذا طلحة بن عمرو البصري الليثي رضي الله عنه من أصحاب الصفة يقول: أتيت المدينة وليس لي بها معرفة، فنزلت في الصفة مع رجل، وكان بيني وبينه كل يوم مدٌّ من تمر، فصلى رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما انصرف قال رجل من أصحاب الصفة: يا رسول الله، أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف. فصعد رسول الله ﷺ المنبر، فخطب، ثم قال: لو وجدت خبزًا أو لحمًا لأطعمتكموه، أما إنكم توشكون- تدركون أو من أدرك ذلك منكم- أن يراح عليكم بالجفان، وتلبسون مثل أستار الكعبة[3]. (يتبع)

---

(١) صحيح البخاري، رقم: ٦٤٥٢.

(٢) سنت الترمذي، رقم: ٢٣٦٨.

(٣) أسد الغابة: ٣/ ٦٢، وفاء الوفاء ص: ٤٥٦، الاستيعاب: ٢/ ٣٢١. وكانت الكعبة آنذاك تستر بثياب بيض تحمل من اليمن. ع. ر. البستوي.

المدارس فيما بعد الهجرة

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
تعريب: الشيخ عبد الرشيد البستوي*

الطلاب من خارج المدينة، والوفود إسكانهم وإطعامهم:

كان يقدم المدينة المنورة الوفود من قبائل نائية وأماكن بعيدة على النبي ﷺ يأخذون عنه القرآن والسنة والفقه وشرائع الإسلام، وبما أنهم كانوا من قبائل وأمكنة أخرى فلم يكونوا يطيلون الإقامة بها إلا أيامًا قلائل أو شهورًا عديدةً، وكانوا بعد أن رجعوا إلى قومهم يدعونهم إلى الإسلام ويعلمونهم أمور دينهم، وكان المسلمون آنذاك يتحملون مشاق السفر في طلب العلم، فقدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ من البحرين، وقالوا له: إنا قد أتيناك من بعيد، وإن بيننا وبينك كفار مضر فلن نصل إليك إلا في أشهر الحرام، فمرنا بجمل من الدين نأمر بها من وراءنا ويدخلنا بها الجنة.

وفد عبد القيس:

وكان قد أخبر النبي ﷺ أصحابه بعبد القيس قبل مقدمهم المدينة في صلاته، وقال لهم: إنهم يأتوننا على طواعية ورغبة منهم دونما إكراه غير خزايا ولا ندامى، ولا يطمعون في المال، ودعا لهم بالمغفرة، فإنهم من خيار أهل المشرق.

المدينة تستقبل الوفود:

وكانت المدينة المنورة تزداد رونقًا وبهاءً إذا قدم إليها الوفود، فكان رسول الله ﷺ يستقبلهم بأصحابه، ويقوم باستضافتهم ويسعى لإراحتهم، ويعتني بتعليمهم اعتناءً فائقًا، كما كان يعلمهم أبو بكر وأبي بن كعب وسعد بن عبادة وعبادة بن الصامت وغيرهم القرآن والفقه وشرائع الإسلام الأخرى، وكان عبد الله الأشج رئيس عبد القيس قد جاء فيه يسأل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن.[1]

ولما قد وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ضرب لهم خيمة في المسجد النبوي حتى يسمعوا

* أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

(1) طبقات ابن سعد: ١/ ٣١٥.

كلام الله ويشاهدوا المسلمين وهم يصلون عن كثب، وكان من بينهم عثمان بن أبي العاص أحدثهم سنًا، غير أنه كان أحرصهم على تعلم القرآن وأخذ العلم، هذا وقد تعلم القرآن أعضاء الوفد الآخرون أيضًا، فجاء فيهم «وعلموا القرآن».[1]

ولما قدم وفد غامد نزلوا بجنة البقيع وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآنًا.

وروي عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قلت لرسول الله ﷺ بعد أن قدمت عليه بالمدينة: أرسلني إلى من يعلمني القرآن أحسن تعليم، فأرسلني إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ وقال: دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك.

الوفود من شتى القبائل:

ولما قدم وفد خولان أمر لهم رسول الله ﷺ أصحابه بأن يعلموه القرآن والسنة، وكان رحال بن عنفرة من بني حنيفة يعلمه القرآن أبي بن كعب، ونزل فروة بن مسيك على سعد بن عبادة عند مقدمه المدينة المنورة، وأخذ عنه القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، وكان في وفد بعث به مسليمة الكذاب وبرة بن مشهر الحنفي، ولما رجع الوفد إلى بني حنيفة لم يصحبهم وبرة، وبقي بالمدينة يأخذ القرآن عن النبي ﷺ ، ولما توفي رسول الله ﷺ رجع إلى عقر حيث كانت أمه، وقدم وفد بهراء المدينة المنورة وأسلموا وأقاموا بها يتعلمون القرآن، وتعلم وفد رهاوين القرآن والفرائض، وكان في وفد بلعنبر حرملة بن عبد الله الذي يقول: لما أجمع الوفد على العودة قلت في نفسي: لأمكث عند رسول الله ﷺ أيامًا أتعلم عنه، فأقمت بالمدينة وعاد الوفد كلهم إلى قبيلتهم، ولما قدم وفد تجيب لم يلبثوا بالمدينة المنورة إلا قليلا ورجعوا إلى قومهم، وقالوا: إننا نقص على من وراءنا من قومنا كل ما سعدنا به من زيارة رسول الله ﷺ والتكلم معه.

إن الله لا يلتكم من أعمالكم شيئًا:

وقدم وفد بني عبس على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش وهي معايشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير في أموالنا بعنّاها وهاجرْنا من آخرنا، فقال رسول الله ﷺ: اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم الله من أعمالكم شيئا.[2]

دار الوفود ودار الضيوف:

كانت الوفود تقيم في الأغلب بدار رملة بنت الحارث بن ثعلبة من الأنـــصار، وكانت

---

(١) طبقات ابن سعد: ١/ ٣٤٥، زاد المعاد: ١/ ٣١٥.

(٢) زاد المعاد: ٣/ ٥٣.

تعرف بـ «دار الضيافة»، وكانت فسيحة تسع أكثر من ست وسبع مئة رجل، وبها سكن الأسارى من بني قريظة البالغ عددهم زهاء سبع مئة، وبها كان الطلاب من خارج المدينة يسكنون، وبها أقام الوفود من تجيب وبني محارب وخولان وبني كلاب وبجيلة وبني حنيفة وغسان وعذرة ورهاوين ومذحج ونخع وغيرها من قبائل أخرى.

دور أخرى للوفود:

كانت الوفود تنزل بأمكنة أخرى في بعض الأحيان لضرورة أو مصلحة، فنزل وفد غامد بجنة البقيع، وكان أبوهريرة ﷺ في وفد دوس باليمن، وأسكنهم رسول الله ﷺ في «حرة الدجاج»، كما أمر وفد بلي بأن يقيموا بدار في بني جديلة، وقدم وفد كندة يصحبه وفد من حضرموت يضم رجالا من الأسرة الملكية، من بينهم وائل بن حجر الكندي، فرحب بهم رسول الله ﷺ ترحيبًا يليق بمكانهم، وأمر معاوية بأن يخص لهم دارًا في الحرة، وأسكن مغيرة بن شعبة حلفاء ثقيف بداره، وضرب رسول الله ﷺ الخيام داخل المسجد النبوي لوفد بني مالك.

الصحابة يستضيفون الوفود:

وكان في وفد زبيد الفارس المعروف بعمرو بن معديكرب، ولما قدم الوفد المدينة المنورة سأل عمرو عن رئيس بني عمرو بن عامر، فقال الناس: سعد بن عبادة، عطف عنان فرس إلى بيته، فرحب به سعد ترحيبًا حارًا وأكرمه واستضافه بالغًا وفق ما اعتاده العرب ولا سيما أسرة سعد، ثم جاء به إلى النبي ﷺ، ولما قدم وفد بهراء المدينة المنورة نزلوا على باب المقداد بن الأسود، قالت ضباعة بنت زبير بن عبد المطلب رضي الله عنهما: كنا في بيتنا في بني جديلة إذ جاءنا المقداد وحمل بيده حيسًا في طبق صنعناه لأنفسنا واستضاف به بهراء، فأكلوا حتى شبعوا، وأعاد إلينا المقداد ما بقي منه، وذهب سعد بن عبادة ﷺ بوفد صداء بإذن من رسول الله ﷺ إلى بيته حيث أكرمهم بالغًا واستضافهم بكل ما عنده، ثم جاء بهم إليه ﷺ، وسكن فروة بن مسيك المرادي بدار سعد بن عبادة يتعلم القرآن والفرائض والشرائع.

استعن به على الاستضافة:

كان رويفع بن ثابت البلوي ﷺ قد توطن المدينة المنورة من ذي قبل فقال: لما قدم وفد بني بلى المدينة المنورة أنزلتهم بداري في بني جديلة، وبعد أن قدمت لهم الطعام ذهبت بهم إلى رسول الله ﷺ الذي علمهم أمور دينهم خلال إقامتهم بالمسجد النبوي، ثم عدت بهم إلى داري وتبعني رسول الله ﷺ بحزمة من تمر وقال لي: استعن به على الاستضافة، فكانوا يأكلون منه إلى تمور أخرى.

(يتبع)